

بمناسبة سبب مرور ٤٧ عاماً على وفاته

جواد سليم ذاكرة الفن العراقي الحديث

تمر هذه الايام الذكرى السابعة والاربعون لوفاة جواد سليم رائد الفن التشكيلي العراقي الذي اجمعت اراء معاصريه من فنانيه ونقاد علما انه قمة الهرم الذي يترجم عليه الفنانون العراقيون. وانه خالق المدرسة العراقية الحديثة في الرسم والنحت وانه معجزة الفن العراقي ، ذاكرة الذاكرة تحتفي به (جواد سليم) صاحب نصب الحرية حيث نحاول من خلال هذه الصفحة ان نلقي الضوء على شخصيته ونتاجه الفني من خلال مقالات كتبت بأقلام نخبة من مثقفي العراق.

الحرر

السبب يكتمل عن جواد سليم:

فنان يمتلك عمق الإحساس ونفاذ البصيرة والموهبة



سليم مايني ينتج انتاجا فنيا يستمد طابعه الانساني من خلال الطابع القومي متوقفا على نفسه وفي كل اثر جديد مقويا للوشائج بينه وبين التراث الفني العربي ان تحقيق هذا كله ليس بالامر السهل كما يبدو فاذا كانت الصلة بيننا وبين تراثنا الادبي لم تنقطع واذا كان المتنبئ وابو تمام والجاحظ وسواهم من عباقرة الشعر والنثر العربيين يتراءون لنا وكانهم قد عاشوا بالامس القريب الذي لاتفضل بيننا وبينه سوى بضع ساعات فان هناك قوة عظيمة تغفر فاهنا بين حاضرا الفني خاصة بالنحت والرسم وبين ماضينا فيها وعلى ملء هذه الهوة ركز جواد سليم كل عبقريته وجهوده .

ان نظرة دقيقة الى لوحاته الرائعة مثال (صبيان ورقي والشيخ والراقصة والقبيلة والخياطة تكشف لنا ان جواد سليم فنان ذو اسلوب متميز وما اقل الرسامين الذين يتميزون بأسلوب لم يقلدوا فيه واحدا او يحتطبهوه من هنا وهناك من غابات غربية عنا وبعد هذه خاطرة عابرة كتبها عن هذا الفنان الكبير الذي انتج ومازال ينتج اشارا يستحق كل اثر منها دراسة كاملة).

الاثار القديمة العامة وقبض له خلال السنوات الثلاث التي قضاه في عمله هذا ان يطالع على روائع الفن التي تمخضت عنها الحضارات التي ازدهرت في هذا الجزء من اجزاء الوطن العربي . هذا الجزء الذي هيأت مياحه الجارية وزروعه اليانعة للموجات التي تعاقبت عليه من قلب الجزيرة العربية من بدء التاريخ مجال التعبير عن عبقريتها وموهبتها الفنية الى اقصى الحدود . وتعمق في دراسة هذا الفن الذي احس منذ الوهلة الاولى بقوة الوشائج التي تربط بينه وبين هذا الشعب العربي الذي هو واحد منه كان يمتلك ما يتميز به كل فنان اصلي عمق الاحساس ونفاذ البصيرة والموهبة وراح جواد سلم يفكر في ضرورة خلق فن ينطبق من روح هذا الشعب وطبيعته وتراثه من حاضره كله وتتصل جذوره بماضيه وفنه العريق .

وهيات له السنوات الاربع التي قضاه في انكلترا (1949 - ليدرس النحت والرسم في السليد في جامعة لندن وعاد بعدها بحمل دبلوم شرف . ان يتفتح على العالم ليون الفن الذي ينتجه فنا ذا طابع قومي اصلي ومسائرا للحركات الفنية الحديثة في الوقت ذاته ومنذ ذلك الحين وجواد

امام عمليتين مهمتين تكمل احدهما الاخرى ولا تتم بدونهما بل يكاد يبدوا فيهما في الحقيقة عملية واحدة فهناك بالنسبة لهذه الالة الصماء السيارات وتحولها الى شيء يمكن الاخبار به الى جزء من انفسنا لقد اصبحت هذه السيارة وكانها جواد رضوانه وسميانه باسمه انها اداة رزق وسيلة للحياة كالنخلة مثلا وشجرة الليمون وليست محض الة من حديد وخشب ومطاط .) ويتوسع السياب بعد ذلك في رسم دلالات لوحه جواد سليم فيستخرج منها معاني يستخدمها في قول الافكار لامتت الى اللوحة بصلة وان كانت هي من وجهها ويكرس الشاعر بدر شاكر السياب من مقالته لسيرة الفنان جواد سليم وافكاره في الفن وسوقه في التراث ولاهية هذا الجزء من المقالة ادرجه هنا نصا مختتما به هذه القراءة الوثائقية التي اردناها شهادة من شاعر كبير لانفساه في ذكرى فنان خلد كفاحه كفاح شعبنا من اجل الحرية .

كتب الشاعر بدر شاكر السياب ابو غيلان في مقاله: (في اواخر عام ١٩٤٠ قطعت الحرب على جواد سليم دراسته في اكااديمية الفنون الجميلة بروما فعاد الى بغداد وعين نحاتا في مديرية

الجمهورية الصادرة عام ١٩٥٩ في ذكرى رحيل الفنان جواد سليم فان قراءة مقالة السياب تحتمل طابع التكريم للرسام وللشاعر الكبير اللذين كانا ولايزال من ابرز علامات الثقافة العراقية المعاصرة . في هذه المقالة حرص السياب ان يقول في مستهلها فهمه لوحه جواد سليم التي وقف امامها مبهورا انها تمثل سيارة من سيارات الشحن الضخمة واقفة حبال منزل تعلية شرفة عراقية مزخرفة (شناشيل) وكانت السيارة والمنزل وشرفته تمثل وحدة متجانسة من حيث الالوان والروح التي تتمشى فيها جميعا وقد كتبت على السيارة من امثال الحسود لايسود وبارزاق مما الفنا ان نراه على سيارات النقل والشحن وبالعراق بصورة خاصة وحيث ان هذا الوصف للصورة التي امامه لا يكفي ولاي يلقى بشاعر وخيال محدوديته فان بدر شاكر السياب يدلنا على ما هو ابعد من الصورة الموصوفة ويغوص بنا الى اعماق ظواهرها يقول الشاعر ولولا هاتان العجلتان لكان من الصعب ان نعرف اننا ازاء سيارة جواتنا في الاصل من الغرب ولستا اراه شيء منطبق من صميم حياتنا اننا هنا يقول السياب



السبب

في كانون الثاني من عام ١٩٦١ يرحل جواد سليم عن دنيانا الذي دعا من خلال اعماله الفنية الى مدرسة عراقية تستمد اصولها من حضارة العصر الحالي بما تمخضت عنه من اساليب ومذاهب في الفن التشكيلي وعن طابع الحضارة الشرقية الفن . الشاعر بدر شاكر السياب يكتب هذه المقالة التي تعد عن الرسام العراقي الكبير في مقال بعنوان ((جواد سليم الفنان الذي يخبرنا الاشياء ونشعرها بتوقيع (ابو غيلان) في جريدة

لورنا تروي حكاية اللقاء بسليم

للورنا انه يرغب في الزواج بها واخذ القطار الى سفليد ليخطبها من ابوها حسب الاصول ولعل تلك واحدة من المرات القليلة التي سار فيها جواد وفق التقاليد العربية بكل طيب خاطر ز اما الوالدان فكان يعرفان صديق ابنتهما من زيارت سابقة وعطلات امضاها في ضيافتهما وكانا يحبانه ويعجبان بثقافته وموهبته الفنية لكنهما لم يكونا راغبين في ان ترحل ابنتهما الوحيدة الى اخر الدنيا . وعلى اية حال كانت قوانين البعثات العراقية تمنع الطالب من الزواج في اثناء سنوات الدراسة في الخارج . ولا بد من ان يعود الى العراق الا ويفك ارتباطه بدائرة البعثات قبل ان يقدم على الزواج . وقد اغتنم والد لورنا هذه الاشكال وقال لجواد عد الى بلدك الا انها الشاب فاذا شعرت هناك انك مازلت راغبا بالزواج من المستعمر منذ قرن حيث الغبار يغطي الى بلده وكتب الى لورنا من بغداد يقول : لادري لماذا دعوتك للمجيء لهذا المكان المستعمر منذ قرن حيث الغبار يغطي الاشجار والشوارع وحافات النوافذ واهداب العيون وكل الاشياء والغريب انها لم تحتفظ باي من رسائلها اليها . لقد اطلقتها كلها ذات يوم بعد ان صار يؤلمها في تلك الرسائل اما رسائلها اليه فمازالت موجودة . بقيت لورنا في لندن سنة بعد جواد عملت خلالها في التدريس ثم تركت كل شيء ولحققت به الى بغداد المدينة التي يرن اسمها في الاذن مثل رنين دنانير الخلفاء الذهبية مثل الف ليلة وليلة .

لخطيب صديقتها بل تعتبر ان الممارسات التي قادت اليها وقادتها اليه مجرد حظ سعيد انها تقول : من حظنا اننا التقينا فلو ابدت شطارة اكبر في الفرع العلمي لما وضعت قدمي في سليد يوما المهم انهما التقيا وان لورنا انهت سنوات الدراسة الثلاث في سليد بنجاح وانتقلت الى كلية اخرى للتحضير لسنة رابعة تؤهلها للتعليم . فقد كانت مدة منححتها الدراسية اربع سنوات ولان جواد التحق بسليد بعدها بسنة فقد كان متوقعا ان ينتهجا في الدراسة في وقت واحد لكن الذي حصل ان صحة جواد اعتدت بعد وصوله الى لندن وانقطع لفترة عن الدراسة لاصابته بقرع الدم ونوع من الحساسية ضد الادوية وقد كتب بذلك الى بغداد فجاءت الموافقة على منحه سنة دراسية اضافية اخرى وبرغم اعتلال صحته استطاع جواد من ان ينهي الدراسة في سنتين بدلا من ثلاث وقرر ان يشتغل السنة الاضافية الممنوحة له في انجاز اعماله الفنية الخاصة لكنه حالما حصل على شهادة التخرج في سليد جاءه اخطار من بغداد يطالبه بالعودة الى الوطن ما دام انه قد انهى الدراسة المتعاقد عليها ولم يجد جواد مفرًا للانصياع للاخطار عندما حان وقت عدته الى العراق في عام ١٩٤٩ قال

استمر يعزف مثل الذين يتعلمون العزف متأخرين أي في سن تكون فيه اليدان قد اخذتا شكلهما الغنائية ولو اتيج لجواد ان يتعلم الغيتار وهو مرافق لاصبح عازفا ماهرا خصوصا انه كان حريصا على التمايز كل يوم . ساهمت الهوايات المشتركة في توطيد الصداقة بين لورنا وجواد فكانا يذهبان معا الى العروض المسرحية والراقصة في امسيات السبت حينما يتوفر لهما ثمن التذاكر اما الامسيات الاخرى فكانا يضيئانها في الاحاديث الفنية او الالتقاء في الاصدقاء الذين يدرسون في الكلية نفسها . لقد كان جواد الطالب العربي الاول الذي تعرف عليه لورنا عن كتب وهي قبله لم تكن تعرف الكثير عن العراق ولا عن العرب عموما لقد استهووه فيه اسلوبه في التحدث باللغة الانكليزية اذ لاحظت انه مثل كل القادمين من الشرق الاوسط ينطق كل حرف من حروف الكلمة بشكل بدا بالنسبة اليها جذابا ومختلفا عن الذين يبتلعون نصف الحروف . فيما بعد صار يعزفها ان تميز الطلاب العرب من خلال لكنهم الخاصة بل انها بشيء من الانتباه اصبحت قادرة على معرفة البلد العربي الذي جاء منه المتحدث لان لكثة اهل مصر وهم يتحدثون الانكليزية تختلف من لكثة اهل العراق مثلا وعن لكثة السوريين .

لقد ادركت منذ لقائنا الاول به انها امام شخص يستطيع ان يتق به وليس من طبعه التضايل وضعت انه صادق ومنفتح جدا على الاصدقاء بحيث ان صداقتها نمت بالتدريج حتى اصبحت حيا . لا تذكر انها قالت له في تلك الايام انها تحبه ولا تذكر انه صارحها بانها يحبها وانه يريسد ان يتزوجها ولكنهما كانا يملكان احساس الحب في داخلهما ويشعران ان طريقتهما بات واحدًا في الايام . ولورنا ليست من ذلك النوع الذي يؤمن كثيرا بالقدر وهي لا تعير اهمية للغة المصائر التي تتقارب وتتقاطع او تتباعد او تتناظر صحيح ان الحرب قد فرضت على جواد ان يترك باريس الى روما ثم يترك روما عائدا الى بغداد لكي يمكث فترة ثم يختار لندن هذه المرة لمواصلة دراسته الا ان لورنا لا ترى اصابع القدر في كل تلك التناقضات ولا في تحول جواد من مدرسة تشيلسي الى سليد ولا في صداقته



لورنا مع سليم في مشغله لمشاهدة احد اعماله

المتصدعة ويستلهم منها ينابيع ابداع متجدد لاينقطع جسوره مع الاصول . انها ايضا الفترة التي تعرف بها جواد وزملائه الفنانون العراقيون على مجموعة من الرسامين البولونيين الذين وصلوا بغداد مع الحلفاء في اثناء الحرب وقد تركت لقاءاته بهؤلاء البولونيين اثارها الايجابية على تكوينه الفني وفتحت امامه افاق مهارات جديدة في استعمال الاوان . اما الغيتار فكان جواد قد تعلم العزف عليه على يد فنان تركي اقام في بغداد اسمه ميسو جميل واخذه الوع بهذه الالة بحيث بدأ يجمع كل ما يكتب عنها في الصحف ويحتفظ بصورة مشاهير العازفين العالميين عليها ولعل ولع جواد بالغيتار جاء من التشابه بينه وبين العود هذه الالة التراثية التي كان سلفه الفنان يحيى الواسطي بارعا في العزف عليها وعندما تعرفت لورنا عليه كان جواد يمتلك غيتارا ايطاليا صغيرا ولطيفا لعله اشتراه من روما قبل مجيئه الى لندن وقد اقتنى بعد ذلك غيتارين اخريين واستعار ثيابا اسبانية من تلك التي يلبسها راقصو الفلامنجو لكي يرتديها في الحفلة التنكرية اقيمت للطلبة الجدد في الكلية تعلم جواد الفلامنجو من عازف اسباني يدعى السنيور بيبي كان يعمل نادلا في احد مطاعم لندن وكانت زوجة بيبي تغني في المطعم نفسه . وبعد ذلك انتمى الى جمعية عازي الغيتار ولكنه لم يبلغ في العزف مستوى متميزا بل

تمهيدا لبداية الدراسة في ايلول فالتقى لورنا في اواخر تلك السنة ووجد فيها البساطة التي كان يبحث عنها . اما هي فعندما تحاول اليوم بعد نصف قرن على ذلك اللقاء ان تتذكر شكله يومذاك فانها لاتجده مختلفا عما ال اليه في اخريات حياته ولعل البشر الذين يكبرونه الواحد مع الآخر لا يلاحظون التغيرات التي يتركها الزمان على شركائه انها تصفه بالانه كان قريبا جدا من الانطباع الذي هو في مخيلة الناس عن الفنان البوهيمي سواء في ثيابه او تصرفاته او في قوله ولهذا السبب لم يكن يبدو عراقيا بشكل واضح بل كان يحاول الابعاد عن انماط التصرفات التقليدية للطلبة العرب ويسعى الى رسم شخصية خاصة به متفتحة على كل ما هو جديد ومختلف . انجذبت لورنا الى ذلك الطابع الذي لا يشبه الاخرين والميال ميلا شديدا الى الفكاهة والمهتم بالموسيقى والشعر وحفلات الباليه ثم ان جواد لم يكن مثلها فنانا مبتدئا بل كان قد سافر الى باريس في عام ١٩٣٨ ودرس لمدة سنة في معهد البوزار ولما قامت الحرب استعدت بغداد طلابها المبعوثين الى فرنسا فانتقل جواد الى ايطاليا ليدرس سنة اخرى في اكااديمية روما للفنون فلما دخلت ايطاليا الحرب ايضا اضطر الى العودة الى بغداد بانتظار فرصة جديدة ولقد كانت تلك فترة الانتظار مفيدة لجواد اذ عمل خلالها في المتحف العراقي يرسم الجداريات الاشورية

تعرفت البنت الخجول في تلك السنة الدراسية الاولى على صديق او صديقين لكنها لم تمر بعلاقة حقيقية قبل لقائنا برميل عربي جاء من بغداد لدراسة النحت في سليد اسمه جواد سليم . كانت لورنا قد نزلت الى لندن في ايلول ١٩٤٥ اما هو فجاه اليها في شباط ١٩٤٦ على امل ان يدرس في كلية تشيلسي بولو تيكنيك عندما ذهب الشاب العراقي للدراسة في تلك الكلية وجد ان لكل طالب بطاقة يتوجب عليه ان يخرمها عند الدخول والخروج لضبط ساعات العمل على غرار ما يفعله العمال في المصانع ولان جواد سليم لم يكن طالبا عاديا بل ذلك الفنان البوهيمي المتمرد على القيود انه لم يحتمل نظام كلية تشيلسي اكثر من اسبوع وسارع لتقل اوراقه الى سليد سكول تماما مثلما هربت لونا من كلية العمالات في ريدنج . لم تجمع الظروف البنت الانكليزية والطالب العراقي في صف واحد فهي في قسم الرسم وهو في قسم النحت الخاص به لكنهما التقيا على الرغم من تباعد الصفوف . وكانت لورنا صديقة تدعى مورين خطبت الى طالب في قسم النحت يدعى نك وكان صديقا لجواد فكان لابد لدائرة التعارف من ان تكتمل ولان جواد كان في تلك الفترة يعزف براءة شديدة لكنها تعرفت على الكمان فقد جمعتهما الهواية الموسيقية المشتركة وصارا يلتقيان ليعزفا معا .

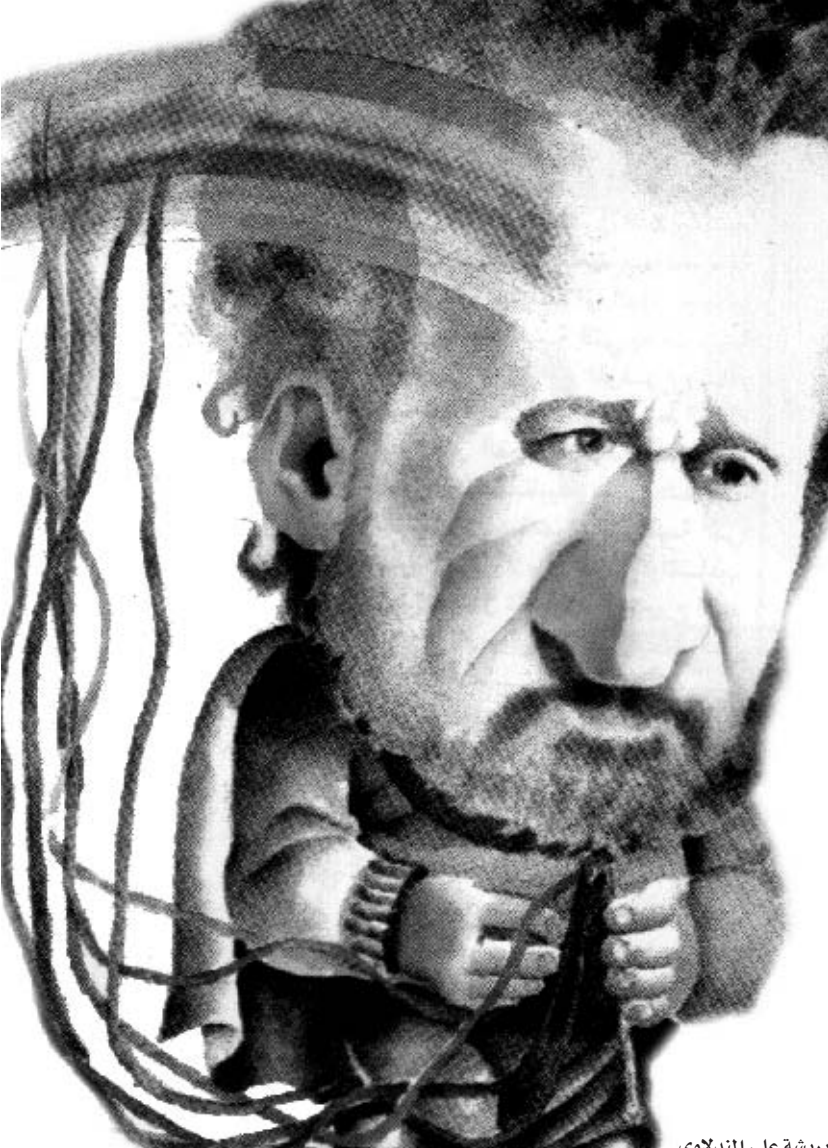
جاء جواد مبكرا الى لندن لتعلم الانكليزية

جواد سليم في مقهى الواق واق

المقهي مناقشة احدث كتاباتهم وابرز الاعمال الموسيقية العالمية الحديثة او السمفونيات الشهيرة مثل عنتره لكويكوف واعمال مندلسن وبراهمز وسواهما وكانت حواراتهم متعددة حول القصة الموباسانية التي افاض جواد سليم فيها طويلا وحول الصور الجديدة في الادب وفي السينما وآخر تطورات بيكاسو الفنية .

وقفت لهم صفحات مجلته "الفكر الحديث" بعد ان اغلقوا اصدارهم الاول "شرة الوقت الضائع" . كان هؤلاء يجتمعون في مقهى اسسوه بانفسهم في ساحة عنتر مقابل النادي الرياضي الاولبي اسموه "مقهي الواق واق" وقد اختار حسين مردان ان ينام في غرفة على سطح المقهى عند قدومه اول مرة الى بغداد بحثا عن عمل وشهرة فيها . وكانت اجتماعات جواد سليم تتم في

باسم عبد الحميد حمودي لم يكن جواد سليم نحاتا ورساما بارزا بل كان مثقفا حاديا رائدا اذ كان احد ابرز عناصر جماعة "الوقت الضائع" التي تكونت من مجموعة من الشعراء والرسامين وكتاب القصة خلال الحرب العالمية الثانية، وكان في مقدمتهم جواد سليم وبلند الحيدري وحسين هداوي ونزار سليم وعدنان رؤوف وحسين مردان وساطع عبد الرزاق وغيرهم . وقد شارك هؤلاء وكان جميل جواد



بريشة علي المندلاوي